تداوليّة الحدث الكلاميّ – شعر ابي نواس أنموذجاً-

الكلمة المفتاح : التداوليّة
البحث مستل من أطروحة دكتوراه

الأستاذ المساعد الدكتور عليّ متعب جاسم
جامعة ديالى \ كلية التربية والعلوم الإنسانية
DraIi-a20002@yahoo.com

مدرس مساعد حسين عمران محمّد
جامعة كَرميان \ سكول اللغات والعلوم الإنسانية
Husseinomran490@yahoo.com

الملخص

إنّ بحثنا الموسوم " تداوليّة الحدث الكلاميّ – شعر أبي نواس أنموذجاً – يسعى إلى قراءة النتاج الإبداعي لأحد كبار شعراء الأدب العربي في العصر العبّاسي وهو أبو نواس الحسن ابن هانئ على وفق قراءة تعتمد منهج نقدي معاصر ويشغل في الوقت نفسه مكانة مهمة في الساحة النقدية .

وقد استهل البحث بمقدمة نظرية مكثفة سلطت الضوء فيه على تعريفات هذا الإجراء التداوليّ – قيد الدرس – لثلة من أبرز روّاد التداوليّة ولاسيّما جورج يول وفان دايك تلتها ثلاثة محاور كان الأوّل بعنوان تداوليّة الخطاب وبنية الحوار أو المحادثة ، والثاني بعنوان تعدد أغراض القصيدة وإنجاز الفعل الواحد ، والثالث درس الأفعال الإنجازية غير اللسانية والحدث المركب . وفي سياق هذه المحاور وظّفت أبرز الآليات التداوليّة الوثيقة الصلة بالحدث الكلاميّ في التحليل والمقاربة ، ثم خُتِم البحث بأهم النتائج .

المُقدِمَة

إذا كانت التّداوليّة وهي التي تتزعم المنحى الوظيفي في اللسانيات تشكل الطرف النقيض للمنحى الشكلي الصوري بزعامة البنيوية وكل من انضم تحت عباءة الاتجاه الشكلي ، فإنّ الباحث يرصد جسورا ومفاهيم للتلاقي توفر دلالاتها مساحات متداخلة بين المنحيين ، ويمثل مفهوم الحدث الكلاميّ في التداوليّة واحدا من تلك الجسور . إذ يصب كل من مفهوم البنية النصية الكبرى في البنيوية بوصفها متتالية من الوحدات اللغوية مع الحدث الكلامي بوصفه سلسلة أو متتالية من الأفعال الكلامية أو الإنجازية . لقد أصبح مفهوم الفعل الكلامي نواة مركزية في كثير من الأعمال التّداوليّة ، وفحواه أنّه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي انجازي تأثيري فهو يطمح الى أنّ يكون فعلا كلاميّا ذا تأثير في المخاطب اجتماعيا ومؤسساتيا ومن ثم انجاز شيء ما .[١] ويعد الخطاب نفسه من جهة

بمثابة حدث ، أي أنّ شيئا ما يحدث عندما يتكلم أحدنا وإن القول بأنّ الخطاب حدث ما ، يعني أولا قول أنّ الخطاب قد تحقق زمنيا وفي الحاضر في حين انّ نسق اللغة مضمر وخارج الزمن .[٢] ليس الحدث وحده مميزا للسلوك الإنساني بل الحدث الإجتماعي بوجه خاص فالتفاعل الذي يحدث بأنّه سلسلة من الأحداث يكون فيها عدة أشخاص هم المعنيون بوصفهم فاعلين متزامنين أو غير متزامنين .[٣] ويرى فان دايك أنّه يجب النظر الى النص بوصفه فعلا للكلام أو بوصفه سلسلة من أفعال الكلام ، كما أنّه يرى أنّه من الممكن تحليل النص على أنّه متوالية من الجمل ويمكن النظر الى النص على أنّه فعل كلامي أكبر من أفعال اللسـان .[٤] أما جورج يول فقد عرف الحدث الكلامي قائلا " هو مفهوم من المفاهيم التي تدور في فلك الفعل الكلامي ، وهو سلسلة من الأفعال الكلاميّة أو نشاط يظهر في التفاعلات الخطابية واللغوية بطريقة تواضعية تفضي الى نتيجة ما ويمكن أنّ يحتوي على فعل كلامي مركزي ، ولكن يمكن أيضا أن يحتوي على منطوقات تقود الى ردود أفعال متتابعة تبني الفعل المركزي " .[٥] ويرتبط الحدث الكلامي بالتفاعل بين الأطراف التخاطبية الذي يفضي الى الكشف عن الفعل المركزي سواء صرح به أو كان مضمرا وتتضافر سلسلة الأفعال الكلاميّة الأخرى في انشائه . ولعل الحدث الكلامي هو الأقرب للتعبير عن الأعمال الأدبية بوصفها حدثاً ما ، ولهذا الحدث طاقة استيعاب الزمان والمكان من جهة ثم تجاوزهما من جهة أخرى .[٦] وقد تظهر القيمة الإنجازية لهذا الحدث كما هو الشأن في الأعمال الوعظية القصصية التي تضطلع بدور الشاهد " الذي يكتسب قوته الإقناعية أي فاعليته التّداوليّة من خاصيته الحكائية " .[٧] وقد تحتجب القوى الإنجازية للحدث الكلامي الى حين وجود قارئ يكفل ظهور جزء من القوة ، إنّ ظهور القارئ وفعله ما يسمى بالفعل التأثيري وبهذا يصبح الحدث الكلامي الإبداعي هو الفضاء الذي يتيح ظهور أهمية الفعل التأثيري في الحقل التّداوليّ إذ أنّ ظهور قوة الفعل الإنجازي متوقفة على حدوث الفعل التأثيري .[٨] وفي كتابه المعروف " النص والسياق " عني فان دايك بتطوير أفعال الكلام عن طريق توجيهها من مجال الجملة أو المنطوق عند مؤسسها جون أوستين الى طريق النص ، وكان من أهم ما صنعه في ذلك الكتاب تحليله الذي سمّاه " أفعال الكلام الكبرى " الفعل الكلامي الأكبر عند فان دايك هو فعل الكلام الإجمالي الذي يؤدي منطوق الخطاب الكلي والذي ينجزه سلسلة من أفعال الكلام المختلفة . وانتهى فان دايك هنا الى أنّ سلسلة الأفعال

الكلاميّة تفسر بأنّها فعل كلّ واحد إذا كانت تشير الى مقصد اجمالي واحد ويمكن لهذا الفعل الكلامي – على مستوى أعلى – أن يكون بدوره شرطا أو نتيجة لأفعال كلاميّة أخرى . وأطلق على دراسة التنظيم الكلي للتفاعل الإتصالي أي التنظيم الكلي لمتواليات الأفعال الكلاميّة والسياقات وعلاقتها ببنية الخطاب اسم " التّداوليّة الكبرى " .[٩] لقد ركز فان دايك على براغماتية الخطاب وليس الجملة المنفصلة على أنّ الخطاب مجموعة متتابعة من الأفعال الكلاميّة ، فعندما يكون فعلان كلاميان مترابطين فإنّ ف١ يكون شرطا ممكنا لتحقيق ف٢ وكذلك يتم ربط القضايا المتتابعة بالقضية الكبرى ، أي ربط الأفعال الكلاميّة المتتابعة بالأفعال الكلامية الشاملة .[١٠] بعد هذه المقدمة يمكننا رصد المحاور الآتية في شعر أبي نواس في ضوء تداولية الحدث الكلاميّ وهي :

المحور الأوّل : تداوليّة الخطاب وبنية الحوار أو المحادثة

وسنتناول فيما يأتي نماذج تحليلية لتوضيح سلسلة الأفعال الإنجازية والحدث الكلامي . قال أبو نواس في قصيدته الموسومة " عند سابا " :[١١]

١– وأحورَ ذميّ ، طرقتُ فناءه بفتيان صدقٍ ما ترى منهم نُكرا
٢–فلما قرعنا بابه هبّ خائفا وبادر نحو البابِ ، ممتلئا ذُعرا
٣–وقال :" مَن الطّراقُ ليلا فناءنا ؟ " فقلت له :" افتح، فتيةٌ طلبوا خمرا"
٤–فأطلق عن أبوابه غير هائب واطلعَ من أزراره قمراً بدرا
٥–ومرّ أمام القوم يسحب ذيلهُ يجاذب منه الرِّدف في مشيه الخطرا
٦–فقلتُ له"ما الاسم حُييتَ؟" قال لي " دعاني أبي سابا ولقّبني شمرا"
٧–فكدنا جميعا من حلاوة لفظه نُجنُّ ، ولم نسطع لمنطقه صبرا
٨–فقلت له :" جئناك نبتاعُ قهوةً معتّقةً قد أنفدت قيما دهرا"
٩–فقال" اربعوا عندي التي تطلبونها قد احتجبت في خدرها حقبا عشرا "
١٠–فقلتُ " فماذا مهرها " قال" مهرها إليك " فسقنا نحوه خمسةً صُفرا
١١–فقلت له "خُذها وهاتِ نُعاطِها" فقام إليها قد تملي بنا بِشْرا
١٢–فشكّ بإشفاء له بطن مُسْندٍ فسالتْ تحاكي في تلألُئها البدرا
١٣–وجاء بها والليلُ مُلقٍ سُدولَه مُدلاً بأنْ وافى محيطاً بها خُبرا
١٤–ربيبة خدرٍ راضها الخِدرُ أعصراً فكانتْ له قلباً ، وكان له صدرا

١٥–إذا أخـذتها الكأسُ كادت بريحها تخال بها عطرا وما إن ترى عطرا
١٦–وما زال يسقينا،ويشـربٌ دائبـا الى أن تَغَنّى حين مالت بـه سكـرا
١٧–" فما ظبيةٌ ترعى مساقطَ روضةٍ كسا الواكفُ الغادي لها ورقاً خُضْرا
١٨–بأحسن منه منظرا زان مختبرا بل الظّبيُ منه شابه الجيد والنحرا.."
١٩–فيا حُسنُه لحناً بدا من لسـانِهِ ويا حُسنُه لحظاً، ويا حُـــسنُه ثَغرْا
٢٠–ونام ، وما يدري أأرضُ وســاده توسّد سكرا أم وسادا رأى جهرا
٢١–فقمنا إليه حيـــن نامَ ، وأُرعَدتْ فرائصُــهُ تجري بميدانه ضُمرا
٢٢– فلما رأى أن ليس عن ذلك مخلصٌ ووافقه ليـن أجاد لنا العَـــصرا

يستهل الشاعر قوله بتوجيه الخطاب الى ذات محددة هو " الأحور الذميّ " ثم تتوالى سلسلة من الأفعال الإنجازية من قبيل " طرقت فناءه ، قرعنا بابه ، هب خائفا ، بادر نحو الباب " لتشكل مقدمة متصدّرا الحوار بين أبي نواس وبين الأحور الذميّ بالشكل الآتي : –الذميّ: من الطراق ليلاً –أبو نواس : افتح ، فتية طلبوا الخمرا – أبو نواس : ما الاسم حييت ؟– الذميّ : دعاني أبي سابا ولقّبني شمرا – أبو نواس : جئناك نبتاع قهوة –الذميّ : أربعوا عندي –أبو نواس : فماذا مهرها – الذميّ : مهرها إليك –أبو نواس : خذها وهات نعاطها .بعد التأمل في هذه القصيدة يمكننا رصد الملاحظات والعلاقات الآتية : ١–تهيمن على بنية الحوار الثنائيات المترابطة أو المتاخمة (*) من نمطي سؤال \ إجابة ، وطلب \ موافقة ويمكن توضيح ذلك بالجدول الآتي :

نمط سؤال \ إجابة	نمط طلب \ موافقة
أ– من الطراق ليلا ؟ (سؤال)	أ– جئناك نبتاع قهوة مُعتّقة. (طلب)
افتح فتية طلبوا خمرا. (إجابة)	– أربعوا عندي . (موافقة)
ما الاسم حييت ؟ (سؤال)	ب– خذها وهات نعاطها (طلب)
دعاني والدي سابا .. (إجابة)	– فقام إليها . (موافقة)
فماذا مهرها ؟	(سؤال)
مهرها إليك .	(إجابة)

٢-إنّ جميع الأفعال الكلاميّة المنطوقة آلت الى الإنجاز والنجاح والموافقة ؛ وذلك لتوافر العوامل التي يتألف منها السّياق التّداوليّ ، ومن ذلك أن المتكلم – أبا نواس- راغب في طلب هو مريد له كون الشرب من الأشياء المفضلة في حياة أبي نواس ؛ ولأنّ المخاطب – الأحور الذميّ – مستعد لتنفيذ طلب أبي نواس وتقديم الشراب له ، وجاء هذا الإستعداد وتلك القدرة على التنفيذ مصرّحا به في قول الشاعر : " وما زال يَسقينا ويشرب دائبا " . ٣-علاقة التمهيد ، وهي العلاقة التي تحكم الإفعال الإنجازية الآتية " طرقتُ فناءُهُ ، قرعنا بابه "، بادر نحو الباب " وبين " هب خائفا ، ممتلئا ذعرا " بوصفها سلسلة أولى وبين الأفعال الإنجازية كالسؤال في قوله " مَن الطّراق ؟ ، ما الاسم حييت ؟ " وبين متتالية الأفعال الكلاميّة من قبيل " أفتح ، فتية طلبوا الخمرا " و" قال لي : دعاني أبي سابا ولقبني شمرا ". ٤-علاقة الإيجاب والإيقاع : بين الإفعال الإنجازية الآتية : " جئناك نبتاع قهوة ، أربعوا عندي ، فماذا مهرها ، فسقنا نحوها خمسة صفرا ، خذها وهات نعاطها " وبين متتالية أفعال الكلام كما في " فشك بإشفاء له بطن ، فسالت تحاكي" فالعلاقة التي تحكم هذا الإرتباط هي علاقة العقود في البيع والشراء ٥-العلاقة التأثيرية المتولدة بوساطة الربط بين الجمل " ومازال يسقينا " و " يشرب دائما " و " الى أن تغنى حين مالت به سكرا " وبين الجمل الآتية " فيا حسنه لحنا بدا من لسانه ، ويا حسنه لحظا ، ويا حسنه ثغرا " بمعنى أنّ العلاقة أو الوظيفة التأثيرية التي تحكم هذا الإرتباط بين سلسلة الإفعال الكلاميّة " يسقينا ، يشرب ، يغني " وبين فعل التعجب المتولّد من حسن الغناء ، وحسن المنظر، وحسن الثغر . إنّ هذا الإعجاب بوصفه فعلا سلوكيا كان بسبب الغناء الجميل ، ومن ثم يتفق الباحث مع ما ذهب اليه فان دايك بأنّه " يمكننا بوجه عام أنْ نجعل أحد الأفعال الكلاميّة معقولا أو ممكن التصديق بواسطة فعل آخر " .[١٢] هذه الحوارية تقوم على أفعال كلاميّة متنوعة لكلا المشاركين من السؤال " من الطراق ليلا ؟ " ، " ما الاسم ؟ " ، " فماذا مهرها ؟ " والتحية " حُييت " والطلب " افتح فتية طلبوا الخمرا " ، " أربعوا عندي " ، " خذها وهات نعاطها " ، والإثبات من ذلك " دعاني أبي سابا ..." ، " جئناك نبتاع خمرا " ، " مهرها إليك " ، " فقام اليك ..." والإفتراضات المترشحة نحو قوله : " مهرها إليك " يفترض مسبقا أنّ أبا نواس على علم ومعرفة بأسعار الخمور الجيدة ، والحوار كله تلخص بطلب شرب الخمر ، ومن ثم تؤول بوجه عام على أنّه اثبات وتقرير على تعاطي أبي نواس الشرب . وعليه فإنّ فعل الكلام الذي ينجز بواسطة

متوالية من الافعال الكلامية يطلق عليه الفعل الشامل .[١٣] أي أن شرب الخمر هو الفعل الشامل من هذه المتوالية من الافعال الكلامية . ومن النماذج الحوارية التي تتجلى فيها الأفعال الإنجازية والحدث الكلامي قوله :[١٤]

فدتك نفسي يا أبا جـعفر جاريةٌ كالقمرِ الأزهــرِ
تعلّقــتني وتعلّقــتها طفلين في المهد الى المحشرِ
كنتُ وكانت نتهادى الهوى بخاتمينا غير مســتنكرِ
حبستَ لي الخاتم منيّ وقد سلبتني إياه مُذْ أشــهرِ
فأرسلتْ فيه فغالطتــها بخاتمٍ من فضةٍ أخضــرِ
قالتْ : لقد كـان لنا خاتـمٌ أحمرُ يهديه إلينا ســري
لكنّهُ عُلِّق غـيري، فقد أهدى لها الخاتمَ ، لا أمتري
كفـرتُ باللهِ وآيــاتهِ إن أنا لم أهجُره فليبُـصرِ
أو بات بالمخرج من تهمتي إيّاهُ فـي خاتمِـهِ الأحمرِ
فارددهُ تردد وصلَها إنَّهــا قرّةُ عيني ، يا أبا جـعفرِ
فإنّني متّهم عنـدهــا وأنت قد تعلـمُ أنّـي بري

أنجزت هذه الحوارية فعلا كلاميّا شاملا هو التوسل لإرجاع الخاتم بوساطة متوالية من الأفعال الكلاميّة تظهر فيها :- المقدمة الوضعية البدئية (الأبيات ١-٣) ، وإلحاق الضرر بالشاعر (ب ٤) ، والخديعة (ب ٥) ، واكتشاف الخديعة أو الضرر (ب ٦)، والوعيد (ب ٨)، والمهمة الصعبة (ب ٩) ، ثم طلب النجدة والمساعدة (ب١٠) ، وأخيرا الإثبات والتقرير (١١)، كل هذه الوظائف ترد إلى وظيفة التوسل أو كما يعبر عنه فان دايك الفعل الكلامي الذي أنجزه سلسلة من افعال الكلام المختلفة .[١٥] إنّ مطالبة الشاعر باسترداد الخاتم المسلوب يشكل شرطا أو نتيجة لعودة العلاقة بين أبي نواس وحبيبته ، كون الخاتم يمثل رمز البقاء على المودة والإخلاص ومن ثم فإنّ هذا التنظيم الكلي للتفاعل الإتصالي لمتواليات الأفعال الكلاميّة والسّياقات وعلاقاتها ببنية الخطاب يعرف بالتّداوليّة الكبرى .[١٦] ومن زاوية أخرى يمكن قراءة هذه القصيدة أو الجزء الأكبر منها على أنّها لون من النفاق الإجتماعي غير المعلن من خلال التمطيط في الكلام والسلوك الأدبي لغرض استرداد الخاتم

المسلوب ، ويطلق فان دايك على هكذا فعل كلامي بالطلب المعقد .[١٧] ويلاحظ على بنية المحادثة أنّها تخضع لقواعد عرفية ويظهر ذلك في التناوب الآتي:

فأرسلتْ فيهِ فغالطتُها بخاتمٍ من فضــةِ أخضرِ
قالت: لقد كان لنا خاتمُ أحمرُ يهديه إلينــا سري
لكنّهُ عُلِّقَ غيري، فقد أهدى لها الخاتم لا أمتري

طلب الحبيبة استرجاع الخاتم بوصفه حدثا أو صيغة فعل أفضت الى حدث المغالطة بخاتم فصه أخضر من أبي نواس بوصفه حدثا تلقي الجواب ، لكن نتج عن هذا الجواب الرفض بوصفه فعلا تأثيريا ، كما هو واضح من قولها " لقد كان لنا خاتم أحمر ...لكنه علق غيري " يعني هذا إنّ المتفاعلين في بنية القصص الشعري يقومون بدفع حركة الاحداث الى الأمام . إنّ القارئ لشروح ديوان أبي نواس يجد بيُسرٍ وسهولة أنّ بعض شرّاح ديوانه قد وضعوا عناوين لقصائده أو مقطوعاته ، وهذه العناوين هي في الواقع موضوعات النص أو القضايا الكبرى . فعلى سبيل المثال نجد اختلافا بين الشُّراح في عنوان القصيدة السابقة إذ اختار غريغور شولر المنطوق " فدتك نفسي يا أبا جعفر" وهو الشطر الأوّل من المطلع عنوانا للقصيدة .[١٨] في حين أجمل الغزاليّ القصيدة تحت عنوان " قصة خاتم " .[١٩] وأرتأى عليّ فاعور في شرحه لديوان أبي نواس وضع ثنائية " متهم بريء " البنية الدلالية الكبرى أو المعنى المستخلص من النص .[٢٠] وهذا التباين في العنوانات أشار اليه فان دايك بقوله : " إنّ البنى قد تختلف جزئيا من شخص الى آخر ، فالقُّراء سيختارون من نص معين عناصر مهمة مختلفة باختلاف معارفهم واهتماماتهم وأعمالهم وآرائهم ، وعليه فإن البنية الكبرى قد تتغير من شخص الى آخر إلا أنّ هذا التغير سيجد توافقا نسبيا في مستوى التفسير الإجمالي لأحد النصوص بين مستعملي اللغة .[٢١] في ضوء معالجة النصوص بوصفها سلسلة أفعال كلاميّة في اطار الحدث الكلامي كونه نسقا تداوليّا ، تتجلى أنماط من تلك الأفعال على وفق معيار النوع من ذلك قول أبي نواس في باب الغزل بالمذكر :[٢٢]

وأبيضَ مثلُ البدرِ دارةُ وجههِ لـه كَـفَلٌ رابٍ بـه يتـرجَّــحُ
أغنٌّ خماسيٌّ، لما أنتَ طالـبٌ مـن اللــهو فيه واللــذاذة يصلحُ
تقنّصني لمّا بدا لي سانــحاً كما مرّ ظبيٌّ بالمفازة يســنحُ
فأمكنني طوعا عنانَ قيــاده فقد خلتُ ظبيا واقفا ليس يــبرحُ

فقلتُ له زرني فديتـك زورةً أقرُّ بها ما شئتُ عينا وأفـرحُ
فقال بوجهٍ مُشرقٍ مُتبَـسمٍ وقد كدتُ أقضي للهوى: أنتَ تمزحُ
تقدّمْ لنا، لا يعرفُ الناسُ حالنا وأقبلَ في تَخـطارِه يترنــحُ
فجئتُ الى صحبي بظبيٍّ مُفتّقٍ فلمّا تراءوا ضوءَ خدّيه سبّـحوا
فقلتُ لهم، لا تُعجلوهُ فإنّـما علامتُنا عند الفراغِ التّنحـــنحُ

في هذا النموذج الحواري تتهيكل متتالية الأفعال الكلاميّة بنائيا بالنحو الآتي : ١-شكّل البيتان (١-٢) الأفعال التمهيدية بوصفها ممهدة أو مقدمة للفعل الإنجازي الأكبر ، وفي هذا القسم رسم لنا المنتج البعد الجسمي للغلام من اللون " ابيض" وشكل الوجه " دارة وجهه" والإمتلاء " له كفل راب " وجمالية الصوت " أغن " والقامة " خماسي" وقد وظّف أبو نواس في قوله " وأبيض مثل دارة البدر وجهه " الإستراتيجية المباشرة في التعبير عن قصده ؛ لأنّه صرّح بوجه الشبه " دارة وجهه " بين طرفي التشبيه ومن ثم انتفى التلميح للتعبير عن قصده الصريح . ومن أجل بناء السّياق الطلبي فإن على الشاعر التأكد ما إذا كان الغلام يستجيب ايجابيا لموضوع الطلب الفعل المشترك الجزء التمهيدي من الحوار اتصفت صيغة الطلب فيه باللطف نحو قوله " زرني فدتك " وبثّ روح الإطمئان في المخاطب وهذا واضح في " تقدّم لنا لا يعرف الناس حالنا " . ٢-يؤدي الملفوظ " فأمكنني طوعا عنان قياده " في بنية الخطاب وظيفة الفعل المساعد . والفعل المساعد " هو كل فعل تقصد نتيجته شرطاً كافياً لنجاح فعل رئيس " .[٢٣] فلولا رغبة الغلام وإرادته في الإستسلام لغرض أبي نواس لم تتحقق نية أبي نواس في الوصول لمبتغاه . كما أدى عمل أبي نواس في المجيء بالغلام الى أصحابه وظيفة الفعل المساعدة ؛ لأنّ الإتيان بالغلمان من أجل الممارسة يعد فعلا مساعدا حينما أنجزه الشاعر لأصحابه ، مع أنّ الأصحاب هم الذين يمارسون .

٣-تؤلف الإفعال الإنجازية في نموذج الحوار السابق نحو: " زرني فديتك زورة ، تقدّم لنا، فجئت الى صحبي، لا تعجلوه " الفعل الكلامي المركب أو الحدث المركب لفعل الشذوذ الجنسي ، كما هذا الحدث" يتكون من عدة أحداث تنتظم مستقيمة الاتجاه ، إلا أنّها تدرك أو تصور كحدث واحد في مستوى معين من الوصف " .[٢٤] إنّ تلك الأفعال الإنجازية ورغبة الغلام في الاستجابة كلها تتجه بخط مستقيم الى الفعل الإنجازي غير المباشر والشامل، كما

تلوح عبارة " واللذاذة يصلح " الى نتيجة مخططة سلفا ، ثم تأتي الوحدات اللغوية لمتوالية الأفعال المتعاقبة زمانيا لتصوير المشهد الكلي للحدث المركزي أو الفعل الأكبر .

المحور الثاني : تعدد أغراض القصيدة وإنجاز الفعل الواحد :

تعددت سنن التأثير والإستجابة في قصائد المديح وتكونت منظومة من المعايير حددتها المدونة النقدية العربية ؛ لأنّ المرسل لم يكن يمتلك الحرية المطلقة في انتاج الخطاب الشعري ، وهذا ما صدح به أبو نواس في قوله :(٢٥)

أَعِرْ شِعْرَكَ الأطلالَ والمنزَل القَفَرا فقد طالما أزرى به نعـتُكَ الخَمرا

دعاني الى نعتِ الطلولِ مسـلَّطُ تضيقُ ذراعـي أن أرُدّ لهُ أمـرا

فســمعاً أميرَ المؤمنين وطاعةً وإن كنتَ قد جشمتني مركباً وعرا

وترى د.شيتر رحيمة وجوب تجاوز الطرح القائل بتعددية أغراض القصيد وتقسيمها الى لوحات أو أجزاء أو أقسام، وعدّ القصيدة حدثا كلاميا يتشكل من فعل كلامي نواة أو بؤرة يتم انجاز هذه البؤرة عن طريق انجاز أفعال كلاميّة أخرى تربطها علاقة ما به.(٢٦) وسنتناول نموذجا صرّح في ملفه السّياقي بالفعل البؤرة، قال أبو نواس يمدح هارون الرشيد:(٢٧)

١. لقد طالَ في رسمِ الديار بكائي وقد طال ترادادي بها وعنائي

٢. كأنّي مُريغٌ في الديار طريـدةً أراها أمامي مرةً ، ووراءي

يبدأ المرسل بتوجيه الخطاب الى مستمع مفترض أو حقيقي حاضر ، موضوعه قضية الإخبار عن طول بكاء وطول البقاء والعناء في الديار ، ويشبه فعل التردد على الديار بفعل الصيّاد المطارد لفريسته . أما قوله " أراها أمامي مرة ، ووراءي فالدلالة الإستلزامية لهذا التلفظ هي عدم تمكن الشاعر من الإمساك بطريدته ، بمعنى ثانٍ أنّ قصد المتكلم في سياقه التّداوليّ هو أنّ البكاء على الأطلال وما يقاسيه المترددون عليه من شقاء وعناء هو خيال أو وهم ، ومن ثم يستشف من الفعل الكلامي غير المباشر أنّ أبا نواس لا يخاطب فردا معينا إنّما الخطاب موجهاً الى تلك الشريحة التي تطرب الى اسلوب القدماء في المديح ، المتشبثون بالتقاليد البالية ، ويبدو أنّ عقلية هارون الرشيد لا تزال مع تلك الشريحة وعليه فإنّ الشاعر يدين الخليفة بصورة غير مباشرة بالرغم من رغبته في التجديد وفعله له كما سيتضح ذلك لاحقا . لقد أنجز أبو نواس في البيتين الأوّل والثاني فعلا كلاميّا تأكيديا بوساطة ادخال الأداة (قد) على الفعل (طال) ومن خلال إنّ المؤكدة في (كأنّي) وهذا

الفعل الإنجازي التأكيدي بلغة سيرل فعل كلامي مندرج ضمن التقريريات وغرض هذا الصنف هو التقرير أو بعبارة أخرى ادراج مسؤولية المتكلم عن صحة ما يتلفظ به ، والفرق بين التوكيد والخبر العادي يتمثل بمعايير سيرل في درجة الشدة للغرض المتضمن في القول .[٢٨] وصياغة هذا القسم من الخطاب في سلسلة من التأكيدات سلوك يحتاج الى تأويل .إنّ تصدير الجملة الفعلية بأداة توكيد يفترض مسبقا وجود مستمع يشكك بآراء الشاعر في قضية الجدوى من الوقوف على الأطلال وبكاء الرسوم والديار فجاءت هذه التأكيدات لإزالة هذا الشك أولا ، ولحمل المستمع أو المتلقي على الإيمان بأنّ نتيجة هذه المعاناة ، وذلك الوقوف هو اليأس من مبدأ ارجاع القديم الى قدمه ، والمحافظة على التقاليد من دون الإلتفات الى التحولات والتغيّرات في الحياة . إذن على الأطراف المتخاطبة الإيمان بمبدأ التطور والتحول . ومن منظور مبدأ المخالفة يفضي الخطاب الشعري " لقد طال في رسم الديار بكائي " و " وقد طال الى مجموعة من التقريرات منها : –لو لم يطل بكائي وترادادي في رسم الديار لم أعش في الوهم والخيال . –إنّ العيش في دائرة مفرغة تؤول الى اليأس والإحباط ، ومن ثم خرج أسلوب التوكيد عن معناه الحقيقي لأداء أغراض بلاغية أخرى منها رفض الواقع الراهن وكسر القيود . –تتعاضد هذه الإحتمالات لبناء فعل كلامي تقريري غير مباشر ؛ لأنّ المتلقي يفهم من التقريرات أنّ الشاعر متمسك بالحياة الى درجة كبيرة . يلحظ الفعل الإنجازي التوكيدي تحقق تركيبيا على مستويين، الأوّل – أفقي : من ذلك تكرار أداة التأكيد (قد) الداخلة على الفعل الماضي . والثاني – عمودي : بوساطة إنّ التوكيدية المتصدرة ب (كاف) التشبيه لتقوية قوة الفعل الانجازي بعد (قد) التحقيقية . كما تجلّت تلك الدلالة التأكيدية صوتيا من خلال التصريع بوصفه بعدا من أبعاد الموسيقى الداخلية بخلقه تكرارا ايقاعيا بين لفظتي (بكائي ، عنائي) ، وتمددت صورة التأكيد ايقاعيا على الخطاب ، لكنّ وفق المحور العمودي كما هو واضح في (عنائي ، ورائي، عزائي...الخ) . لقد تولّد من فعلي البكاء والعناء عند الشاعر فعلا تأثيريا هو اليأس والعزاء لينسل من خلالهما أبو نواس وبشكل حجاجي من قسم الطلل الى الخمر كما في قوله :[٢٩]

فلمّا بدّا لي اليأسُ عَدّيتُ ناقتي عن الدّار، واستولى عليّ عزائي

يشكل هذا البيت محطة فاصلة ولاسيّما عبارة " عدّيتُ ناقتي عن الدّار" بين الطلل والخمر. والملاحظ أنّ المنتج ينتقل سريعا بين المحطتين ، وكأنّه يوظّف تقنية الحذف في القص

لتسريع زمن السرد . ويرى الباحث أنّ هذه النقلة السريعة تفضي إلى إنجاز قصد تواصلي هو عدم الإكتراث بقسم الرحلة ووصف الناقة والدافع من عدم الإكتراث هذا مرتبط بالسّياق الخارجي للخطاب ، فقد جاء في تاريخ الطبري أنّ البيعة أُخذت للقاسم بولاية العهد بعد أخويه محمد الأمين وعبدالله المأمون وسُميّ المؤتمن وذلك بمدينة السّلام بغداد يوم السبت في ١١رجب سنة ١٨٨ هـ فقال أبو نواس قصيدته هذه .[٣٠] يتضح من خلال ملف القصيدة اصدار أمر بتعيين الإبن الثالث لهارون الرشيد ولياً للعهد في بغداد – وكان الشاعر وقتذاك في بغداد أيضا – ومن ثم فإنّ هذا السلوك تضمن فعلا كلاميّا غير مباشر يتحدد بالسرعة وانتفاء الحاجة لوسائل النقل الضرورية للمسافات الطويلة ، ومنها الناقة بوصفها إحدى أشهر تلك الوسائل ، وفي ضوء هذا نجد أبا نواس يوظّف هذا التقليد الشعري في نصوصه استعمال حاجة لا إستعمال تقليد ، وأراه في هذه القصيدة قد وظّف التقنية التوليفية في الخطاب المدحي من خلال التوفيق بين فعل التقليد إرضاءً لذائقة الممدوحين ولاسيّما من هو في منصب الخليفة العبّاسي وخضوعا للتوجه العام لمتذوقي عصره من جانب ، وفعل التجديد تعضيدا لمنظوره في اكساء القصيدة حُلتها الجديدة تماشياً مع متطلبات التحول والتغيير ولتأتي هذه النقلة السريعة في بيت الرحلة تعبيراً عن رغبته في الحياة ، ومن ثم يشكل هذا الفعل الإنجازي جزئية ترفد الحدث الكلامي وتعززه دلالة وتأويلا في سياقه التّداوليّ الخاص . وفي سياق متصل يعد بيت الرحلة بنية للخروج أو التخلص والإنقطاع بوصفه قسما من أقسام بناء قصيدة المديح . وقد وضح بعض الباحثين عملية الإنقطاع في الشعر قائلا " يحدث الإنقطاع في الشعر القديم في القصائد التي تسود أحداثا ، إذ تقوم هذه القصائد على التناوب بين القص والوصف ، الحركة والسكون اللذين يجتمعان أحيانا ليكونا ما يعرف بالصورة السردية ".[٣١] مع انتهاء بيت الرحلة يبدأ قسم الخمر ، وأوّل ما يميز هذا القسم هو التضاد بينه وبين المحطتين السابقتين ؛ لأنّ الشاعر في المحطة الاوّلى يرفض الطلل ورسوم الديار ويغادرها بناقة بسبب اليأس المهيمن عليه الى رغبة شديدة في الحياة استنادا الى مبدأ اللذة بالخمر والنساء ، ولكن ما العلاقة بين الأفعال الكلاميّة المتتالية التي تشكل مجموعها وحدة أو قسم الطلل وبين الفعلين الإنجازيين في بيت الرحلة ، وبين قسم أو لوحة الخمر ، وقبل ذلك كلّه لنقرأ قول أبي نواس في قسم الخمرة:[٣٢]

الى بيتِ حـــانٍ لا تهِرُّ كـلابـُـهُ عليَّ، ولا يُنِكرنَ طولَ ثَوائي

فإنّ تكنِ الصّـهباءُ أودتْ بتـالــدي فلم تُوقني أكرومَتي وحَيائِي
فما رُمْتـه حتـى أتى دوم ما حـوت يميني حتى ريطتي وحذائـي
وكـأسٍ كمصـباحِ السـمَاء شربتُـها على قُبلةٍ أو موعـدٍ بلقاءِ
أتتْ دونـَها الأيّـامُ حتـى كأنّـها تَساقطُ نورٍ من فتُوقِ سماءِ
ترى ضوءها من ظاهرِ الكأسِ سَاطِعا عليكَ وإنْ غطَيـتها بغطاءِ

لا شك في أنّ قسم الخمر يشكل متتالية أفعال الكلام فيه بنية صغرى ، وترتبط هذه الأخيرة مع البنيات الأخرى في الخطاب بعلاقات معينة تؤول الى حدث كلامي أو التّداوليّة الكبرى بوصفها دراسة التنظيم الكلي للتفاعل الإتصالي أي التنظيم الكلي لمتواليات الأفعال الكلاميّة والسّياقات وعلاقتها ببنية الخطاب .[٣٣] ولعل ما يشد الإنتباه بين لوحتي الطلل والخمر الثنائيات التضادية فيهما ويمكن توضيح ذلك بالشكل الآتي :(قسم الطلل) الدار فيه يأس – ---- في الديار حيوانات وحشية هاربة (طريدة) ----يستولي على الشاعر العناء ---- -- المكان غير مألوف ----- القِدم في الديار علامة سلبية -------- قوله " أراها أمامي مرة وورائي " القصد من هذا التعبير عدم التمكن من الرؤية . (قسم الخمر) بيت فيه حنان ---- في البيت حيوانات (كلاب) أليفة -------- يستولي على الشاعر السَّعادة ---- المكان مألوف ---- القِدم في الخمرة علامة للجودة -----الرؤية في الخمر أو كأس الخمرة واضحة وقوية . هذه الثنائيات الضدية تساعدنا في البحث عن الفعل الكلامي المنجز من خلال التصوير القائم على الوصف والقص . إذ يبدأ الشاعر في قسم الخمر تأشيرية دالة على المكان وهي قوله " الى بيت حان " ويكشف الفعلان المنفيان في قوله " لا يهرّ كلابه " و " لا ينكرن طول ثوائي " قصدية الشاعر في اتخاذ قرار ترك الديار والإنتقال الى بيت حانٍ كونه فعلا انجازيا يعنى بإظهار سلوك المتكلم ورغبته لما يوفره هذا البيت من أجواء السّعادة والفرح والألفة ؛ لأنّ قوله " لا تهرُّ كلابه " تعبير كنائّي يقتضي أنّ الشاعر معروف في هذا البيت ، بل يعد فردا من أفراده لطول الإقامة فيه .ثم يربط المتكلم فعل القرار في البيت السابق بفعل الإفصاح والإعتراف ، أي الاعتراف بأنّ الخمرة أتلفت ميراثه . أما الفعل الإنجازي المتلفظ في قوله " حتى ريطتي وحذائي " فالدلالة الحرفية لها أنّه خسر كل شيء حتى الملاءة والحذاء والدلالة الضمنية لهذا التعبير تنصرف الى فعل الإسراف والتبذير في الأموال ثم يلي ذلك وصف الكأس بمصباح السماء لشدة لمعانها . أما الملفوظ

" أتت دونه الأيام " فالقصد التواصلي للمنتج هو أنّه خمرة معتّقة أي عالية الجودة ، وقد صاحب فعل الشرب المصرّح به في قوله " شربتها " قبلة ، والعبارة الأخيرة " موعد بلقاء " يومئ الى رغبة الشاعر في الإتصال البايولوجي . من التشظيات الدلالية للصبهاء هي أنّها رمز للحياة والتغيير في حقول الحياة والمعرفة التي لا يمكن تجاهله أو انكاره حتى وإن " غطيتها بغطاء " . إذا أضفنا الى ذلك معطى مكانياً ورد في هذا القسم وهو المكان العالي الذي هيمن على فعل السرد ، فتشبيه الكأس بنجم في السماء وتساقط النور من فوق السماء نجد أجواءً بهيجة خيمت على هذه اللوحة في قبال الحزن من البكاء والعناء واليأس السائد على لوحة الطلل . ومن ثم يرى الباحث أنّ هذا المقطع من السرد في القصيدة لم يكن مجرد تعبير عن وصف الخمر وقص الأحداث بل تقنية إسلوبية لجأ اليها المنتج ليفضي بها الى انجاز فعل كلامي غير مباشر قوته الإنجازية الإخبارية بنيت على الحركة والسكون ، الخمرة رمز الإستمرار والحركة ، والطلل رمز السكون . كما يرتبط تأويل هذا المقطع في طبقة من طبقاته بالسياق الخارجي للقصيدة فبعد أنّ حدد هارون الرشيد كرسيين لمنصب ولاية العهد وكأنّ الأمر انتهى الى الإقرار والجزم والثبات قام بعد زمن وعين القاسم ولياً لعهده بعد أخويه ، وهذا التغيير في الرأي والتحول في الرغبة وظّفها أبو نواس تعضيدا لإسلوبه الجديد في الإنتاج الشعري . ومن ثم أصبحت الخمرة وسيلة لإنجاز فعل الثورة على بعض التقاليد الفنية في البناء الشعري . ولا يمكن بأي حال من الأحوال غضّ الطرف عن فعل قد يبدو لأول وهلة فعلاً ثانوياً أو مغموراً لكنّ التأمل وإعمال النظر في القصيدة تفضيان الى الكشف عن أهميته ، لقد جرت عادة الشعراء أن تكون وجهة التحول أو انتقالهم بالناقة من الدار الى الممدوح والتوجه اليه لإعلاء شأن الممدوح وتعظيمه لتشكل ضمنا فعلاً كلاميّاً غير مباشر يدل على مكانة الممدوح ومنزلته في قضاء الحوائج لكن ما نقرأه هنا يلفت نظر السامع أو القارئ ؛ لأنّ الشاعر لم يَعْدُ بناقته الى الممدوح وإنّما عدا بها الى بيت حانٍ ، وهذا الخرق لأفق القارئ ينسجم مع دلالة فعل التغيير والتجديد التي طالما نادى به الشاعر . وأخيراً يحلُّ أبو نواس ساحة الممدوح ونجده يتخذ بعدين خُلُقي كما في قوله : (٣٤)

تباركَ مَنْ ساسَ الأمورَ بعلمِـهِ وفضّلَ هارواناً على الخلفاءِ
نعيشُ بخيرٍ ما انطوينا على التُّقى وما ساسَ دنيانا أبو الأمنـاءِ
إمامٌ يخـافُ اللهُ حتى كأنّــما يؤول رؤياه صباح مسـاءِ

والآخر خَلقي كما في البيت الأخير من قوله :[٣٥]

أشمٌ طِوال الساعدين كإنّــما يُناط نجادا سيـفَه بلواءِ

في هذا القسم من القصيدة أفصح الشاعر عن المدح كونه الفعل المنجز . وجمع المرسل في البيتين الأوّل والثاني بين لفظة الجلالة " الله " والخليفة واشركهما في فعل التدبير . وإذ يجعل المتكلم للحياة الخيّرة شرطين هما التقوى وسياسة الخليفة وهو أمر غير حقيقي ينتج عنه فعلا كلاميا هو إعلاء مقام الخليفة والمبالغة في تعظيمه . ويلوح الجمع بين الله والخليفة في التدبير الى تعددية في المقاصد منها :

١-إنّ الفعل الإنجازي من قبل هارون الرشيد بإعلان البيعة للقاسم بولاية العهد بعد الأمين والمأمون كان قرارا حكيما كون هارون مفضّلاً من الله على الخلفاء وفعله لا يتنافى مع العلم الإلهي وتدبيره . ٢-إنّ القصد من وراء هذا المدح ذو صلة بطبيعة القرار السياسي . فقد استثمر أبو نواس التغير في موقف الرشيد في مجال السياسة وإدارة الحكم بقرار أخذ البيعة للقاسم بأنّه قرار ذو طبيعة تجديدية وتوظيف ذلك لمنهجه التجديدي في الشعر . وكأنّي به يقول أنّ التجديد والتطور يطرآن على كل مجالات الحياة ومنها السياسة والأدب . ٣-يمكن تأويل فعل الممدوح بعدوله وأخذ البيعة للإبن الثالث على أنّه التحرر من القيود والتقاليد المتبعة ، فكما حرر هارون الرشيد نفسه من تقاليد الحكم السابقة احتذى أبو نواس هذا المنهج ولكنه في مجال الأدب والتحرر من بعض الأعراف الفنية للقصيدة وتقاليدها الموروثة . يتضح مما سبق أنّ القصيدة بتنوع أغراضها وتعددها تشكل أفعالا جزئية يستقطبها الفعل البؤرة لتنتهي القصيدة لبناء فعل كلامي ما ولا يمكن لهذا الفعل أن يتحقق دون أجزائه .

المحور الثالث : الأفعال الإنجازية غير اللسانية والحدث المركب

في دائرة الحدث الكلامي تبرز لنا في شعر أبي نواس ظاهرة صدور الفعل أو بالأحرى متتالية أفعال من الحيوان وتتجلّى هذه الظاهرة بوضوح في طردياته من ذلك قوله :[٣٦]

١- آلفُ ماصدِتُ من القـنيصِ بكلِّ بازٍ واسعِ القمــيصِ

٢-ذي بُرنُسٍ مُذهّبٍ رصـيصِ وهامةٍ، ومنسرٍ حصــيصِ

٣-وجـؤجـؤٍ عوّلٍ بالدليصِ مُدبّجٍ ، مُعيّنِ الفصــوصِ

---

(٢)- البرنس : ثوب طويل ، غطاء الرأس منه . رصيص : المرصوص بعضه فوق بعض . منسر : منقار . حصيص : لا ريش له .

(٣)- الجؤجؤ : الصدر . عوّل بالدليص : أعجب بنقشه بماء الذهب . مدبّج : المنقوش المزين .

٤-على الكـركي نهمٍ حريصِ آنسَ عشرين بذاتِ العيـصِ
٥-فانسلّ عن سكارِهِ الممحوصِ وانقضَّ يهوى وهو كالوبيصِ
٦-داني جناحيهِ الى نصـيصِ فأعتامَ منها كل ذي خمـيصِ
٧-فقدّهُ بمــخلبٍ قبــوصِ فـكم ذبحنـا ثمَّ من مـقوصِ
٨-وكم لنا في البيتِ من مقصوصِ معدّةٍ للشـيِّ والمُـصـوصِ

شِكْلُ الطرديّة أنبنت علي محوري الوصف والقص وبناءً على تتابعات الفعل الكلامي وصولا الى الفعل الإنجازي الشامل ويمكننا رصد تلك الأنماط بالشكل الآتي :- ١-تتمحور أبيات هذه القصيدة كلها بوصفها حدثا كلاميا حول موضوع الصيد . ٢-يمثل " طائر الباز" في هذه القصيدة ، الفعل المساعد كونه أداة أو وسيلة يستعين به الصائد لإنجاز فعل الصيد وهذا ما صرّح به أبو نواس بقوله :

آلف ما صدت من القنيص بكل باز واسع القميص

إنّ المحتوى القضوي لهذا البيت هو اقرار الشاعر بفعل الصيد بالباز بوصفها وسيلة للصيد ، وتفيد حرف الباء في قوله " بكل باز " معنى الإستعانة ، ولعل الدلالة

---

(٤)- الكراكي : جمع كركي ، طائر طويل العنق والرجلين والمنقار . آنس : أبصر . ذات العيص : مكان.

(٥)- أفلت مما ضُيّقت به عينه. الوبيص : البريق واللّمعان .

(٦)- أي : قارب هدفه الذي حدّده لينقضّ عليه ، واختار أجودها .

(٧)- قدّه : مزّقه . قنوص : محكم القنص . موقوص : مكسور العنق .

(٨)- مقصوص : مقصوص الريش ، أو مذبوح . معدّة للشيّ : مهيأة للشيّ . المصوص : لحم ينقع في الخلّ ويطبخ .

القصدية للمتكلم من " واسع القميص " أنّه طائر كبير الحجم . ٣-المكون الوصفي الوارد في الأبيات الثلاثة الأوّلى من بنية الطرديّة لطائر الباز والتي تشتمل على الحجم " واسع القميص" واللون " مذهب " وتنضيد الريش " والرصيص " والملاسة " هامة ومنسر حصيص" والصدر المزين المنقوش . كل هذه الصفات تختزل وتصنف تحت الفعل التمهيدي

ذي القيمة الإخبارية والقصد منها ابلاغ السامع أو المتلقي بأن آلة هذه تتمتع بوصفات عالية الجودة ومهارة كبيرة في القنص والصيد .١-يؤدي الفعل المساعد – أي طائر الباز- متتالية من الأفعال الإنجازية غير اللسانية لتكوين الحدث المركب " صيد الكركي " بوساطة سلسلة من الأحداث التي تعقب بعضها بعضا زمانيا بالصورة الآتية " آنس عشرين " أي نظر الى عشرين من الكراكي ، وأفلت " فانسل عن سكاره المخوض " ، " وانقضّ يهوي " ، " داني جناحيه الى نصيص " ، " فاعتام منها كلّ ذي خميص " أي اختار أجودها ، ثم " فقدّه بمخلبٍ قنوص " . إذن شكلت هذه المتوالية من الأفعال صورة أو حدثا انجازيا أكبر هو صيد الكركي . ٢-تصور الأشطر الثلاثة الأخيرة من القصيدة نهاية الطرديّة والفعل القولي " فكم ذبحنا .." و " كم لنا في البيت من مقصوص " انتج فعلا كلاميّا إخباريا تشكلت بنيويا بإسلوب الإستفهام وتضمن دلالة قصديّة مفادها كثرة اللحوم المخزونة في البيت. ٣-ترتبط الأقسام الثلاثة للقصيدة (الوصف أو التمهيد، البؤرة أو السرد ، النهاية أو الخاتمة) بعضها مع بعض بعلاقات . وتفرز المعطيات النصية للقصيدة العلاقات الآتية : أوّلاً : علاقة انتخاب الأصلح التي تربط بين قسم التمهيد وقسم البؤرة ؛ لإنّ انتخاب آلة الصيد الجيدة تفضي الى صيد سريع وموجه .ثانيا : علاقة النوع ، وهي العلاقة التي تربط قسم البؤرة بالنهاية ، فإصطفاء الأنواع الجيدة من الصيد كما عبّر عنه أبو نواس ب " فأعتام منها كل ذي خميص " يؤول الى الإخبار عن اعداد الطعام الجيد . ثالثا : علاقة العلّية : وهي المتولّدة بين قسم البؤرة وقسم الخاتمة أو النهاية ، فهذا الطعام الوفير من الطير المذبوح والمقصوص الجناح كان لعلة كثرة الصيد.

وإذا كان المعطى الأوَّلي لسلسلة أفعال القصيدة هو وصف الصيد فإنّ هذه الطرديّة ومعها كل طرديات أبي نواس تفضي الى فعلين انجازيين غير مباشرين : الأوّل : هو المرح ، والباحث بذلك يتفق مع قراءة أنيس المقدسي لطرديّات أبي نواس بقوله في طردياته يتجلّى لنا مرحه وترفه .[٣٧] الثاني : تفعيل مبدأ مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، فإذا كان الصيد أو الطرد نشاطا حياتيا للإنسان في البادية فمن الطبيعي أنّ تعكس اللغة المستخدمة صورة واقعية لتلك البيئة المَعيشة على مستوى غرابة الألفاظ ومتانة التعبير وتفصيل الأوصاف وكل ذلك ينسجم مع طبيعة البادية وحياة الصحراء ، ومن هنا نستشف أن أبا نواس لم يحارب

الطلل والديار والأعراب من أجل الأطلال والديار ، بل ؛ لأنّ ذلك لا ينسجم مع طبيعة الحياة في المدن أو حياة الحضر .

النتائج

من أهم النتائج التي يمكن رصدها في بحثنا عن تداوليّة الحدث الكلامي في شعر أبي نواس هي :

١-لا يمكن تجاوز قصدية المتكلم بأي مسوغ من المسوغات وتحت أي ذريعة كانت.

٢- ضم الحدث الكلامي أفعالاً انجازية مباشرة وغيرة مباشرة ، إلى جانب أنماطٍ مختلفة من الأفعال التمهيدية والبسيطة والمعقدة ، ومن ثم لم يكن المرسل \ أبو نواس مجرد شاعر يقولب الألفاظ والتراكيب في صور بيانية ، بل انتبه إلى اهمية الملفوظ في سياق معين بغية الوصول إلى مقاصده .

٣- لم تشمل عملية التفاعل الاتصالي والأفعال المتتالية في الحدث الكلاميّ حيز البشر فقط ، بل امتدت إلى عوالم أخرى منها صدور الفعل الكلاميّ ومتتالية الأفعال من الحيوانات .

٤- برزت فاعلية الفعل التأثيري ، وما يحدثه الخطاب في المستمع أو المتلقي كون الخطاب ذا صلة وثيقة بالمرسل إليه ، وعليه تحدد نجاح الفعل الإنجازي من عدمه.

٥- كشفت المقاربة التداوليّة بوساطة المعطيات النصية شبكة من العلاقات الدلالية التي تعمل على ربط أقسام القصيدة .

٦- لقد أماطت المعالجة التداوليّة اللثام عن المواكبة والاستثمار في التجديد والتغيير في الحقول المختلفة ولاسيّما حقل الأدب وحقل السياسة .

٧- كشفت المقاربة التداوليّة تحولاً في بنية الحدث الكلاميّ على مستوى معمارية قصيدة المديح .

٨- سوسيولوجياً أزال الخطاب الشعري السِّتار عن جانب من الممارسات السلوكية في عصر الشاعر ولاسيّما النفاق الإجتماعي غير المعلن .

Abstract

The Pragmatics of Speech Act: Abu Nu'as's Poetry as an Example

key word\ The Pragmatics

Asst. Prof. Ali Mit'ib Jassim
University of Diyala, College of Education for Human Sciences

Asst. Ins. Hussein Umran Mohammad (M.A.)
University of Garmian , School of Languages and Humanities

This study seeks to review the creative literature of one of the greatest poets of Arabic Abbasi Era in Arabic literature who is Abu Nu'as. This review relies on the modern critical method which is an important method in the field of critical analysis.

The study started with a thorough theoretical introduction that shed the light on the definitions of this pragmatic phenomenon by the most prominent figures in pragmatics like George Yule and Van Dijk. After that there are three sections. The first one entitled the " pragmatics of discourse and structure of conversation. The second was about the multiplicity of themes and the one act accomplishment. The third section dealt with indirect speech acts and compound event. In the light of those sections the most prominent mechanisms of speech acts were utilized in an analysis and a comparison. The study ended with the most important conclusions.

الهوامش

١-ينظر التداوليات علم استعمال اللغة ، اعداد وتقديم د.حافظ اسماعيلي علوي ، عالم الكتب الحديث اربد ، ط ١ ، ٢٠١٠ م : ٥١ – ٥٢

٢-ينظر من النص الى الفعل ، بول ريكور ، ترجمة محمّد برادة وحسّان بورقية ، ط١ ، ٢٠٠٠م : ٧٩ – ٨٠

٣-ينظر علم النص مدخل متداخل الاختصاصات ، تون أ.فان دايك ، ترجمة وتعليق د. سعيد حسن بحيري ، دار القاهرة ، ط ٢ ، ٢٠٠٥م : ١٢٨

٤-ينظر م . ن : ٢٣١

٥-التداوليّة ، جورج يول ، ترجمة د. قصي العتّابي ، الدار العربية للعلوم والفنون ناشرون ، ط ١ ، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠ م : ١٥٧

٦-ينظر تداولية النص الشعري جمهرة اشعار العرب انموذجا ، شيتر رحيمة اطروحة دكتوراه ، الجزائر ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، كلية اللغات والعلوم الإنسانية ، قسم اللغة العربية وآدابها : ١٥٨

٧-الإستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية ، محمّد الولي ، منشورات دار الامان ، الرباط – المغرب ، ط ١ ، ٢٠٠٥ م : ٤١٧

٨-ينظر تداولية النص الشعري جمهرة اشعار العرب انموذجا : ١٥٩

٩-ينظر التداوليّات علم استعمال اللغة : ٣٠٩:

١٠-ينظر النقد النصي وتحليل الخطاب ، د.نبيل ايوب مكتبة لبنان ناشرون ، ط ١ ، ٢٠٠١ م : ٢٣٩

١١- ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ و حققه وضبطه وشرحه أحمد عبد المجيد الغزاليّ ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان و ١٩٨٤ م : ١٢٤ – ١٢٥

" المترابطة أو المتاخمة " : مصطلح يطلق على ثنائيات الفعل الكلامي التي تترابط ثنائياً .

١٢- النص بناؤه ووظائفه مقدمة اولية لعلم النص : فان دايك ، ترجمة جورج ابي صالح ، مجلة العرب والفكر العالمي ، مركز الإنماء القومي ، ع ٥ ، شتاء ١٩٨٩ م : ٧٠

١٣- ينظر النص والسّياق – استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداوليّ و فان دايك ، ترجمة عبد القادر قنيني ، افريقيا الشرق و المغرب ، ٢٠٠٠ م : ٢٩٥

١٤- ديوانه الغزاليّ : ٢٧٦

١٥- ١٦ ينظر النص والسياق : ٢١٥

١٧- ينظر م . ن : ٣١٩

١٨- ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ الحكمي ، تحقيق غريغور شولر ، جمعية المستشرقين الإلمانية ، دار المدى ، ط ١ ، ٢٠٠٣ م : ٤ \ ٨٨

١٩- ديوانه الغزاليّ : ٢٧٦

٢٠- ديوان أبي نواس ، شرحه وضبطه وقدم له الأستاذ عليّ فاعور ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧ م : ٢٣٩

٢١- ينظر النص بناؤه ووظائفه : ٦٤

٢٢- ديوانه الغزاليّ : ٣٥٢

٢٣- النص والسياق : ٢٤٠

٢٤- م . ن : ٢٤٠

٢٥- ديوان أبي نواس ، شرح وتحقيق محمّد انيس مُهرات ، دار مهرات للعلوم ، سورية – حمص ، ط ١ ، ٢٠٠٩ م : ٢٣٩

٢٦- ينظر تداوليّة النص الشعري جمهرة اشعار العرب أنموذجا : ١٦٣

٢٧- ديوانه الغزاليّ : ٤٠٢

٢٨- ينظر التداوليّة عند العلماء العرب دراسة تداوليّة لظاهرة الافعال الكلاميّة في التراث اللساني العربي ، د. مسعود صحراوي ، دار الطليعة بيروت ، ط ١ ، تموز ٢٠٠٥ م : ٢٠٧ – ٢٠٨

٢٩- ديوانه الغزاليّ : ٤٠٣

٣٠- ينظر تاريخ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، أبو جعفر محمّد بن جرير (-ت ٣١٠ هـ) تحقيق محمدّ أبو الفضل ابراهيم ، سلسلة ذخائر العرب (٣٠) ، ط ٢ ، دار المعارف مصر ، ١٩٦٩ م ، ١٠ \ ٩٦

٣١- قراءآت في الأدب والنقد دراسة ، د. شجاع مسلم العاني ، منشورات اتحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، ١٩٩٩ م : ١٣

٣٢- ديوانه الغزاليّ : ٤٠٢

٣٣- ينظر النص والسّياق : ٣٠٩

٣٤- ديوانه الغزاليّ : ٤٠٢

٣٥- م . ن : ٤٠٣

٣٦- م .ن : ٦٤٧

٣٧- ينظر أمراء الشعر العربي في العصر العبّاسي ، أنيس المقدسي ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، آب ٢٠٠٨ : ١٢٤

المصادر والمراجع

- الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية ، محمّد الولي ، منشورات دار الامان ، الرباط – المغرب ، ط ١ ، ٢٠٠٥ م .
- أُمراء الشعر العربي في العصر العبّاسي ، أنيس المقدسي ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، اب ٢٠٠٨ .
- تاريخ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، أبو جعفر محمّد بن جرير (-ت ٣١٠ هـ) تحقيق محمدّ أبو الفضل إبراهيم ، سلسلة ذخائر العرب (٣٠) ، ط ٢ ، دار المعارف مصر ، ١٩٦٩ م .
- التداوليّات علم استعمال اللغة ، اعداد وتقديم د.حافظ اسماعيلي علوي ، عالم الكتب الحديث إربد ، ط ١ ، ٢٠١٠ م .
- التداوليّة ، جورج يول ، ترجمة د. قصي العتّابي ، الدار العربية للعلوم والفنون ناشرون ، ط ١ ، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠ م .
- التداوليّة عند العلماء العرب دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التراث اللساني العربي ، د. مسعود صحراوي ، دار الطليعة بيروت ، ط ١ ، تموز ٢٠٠٥م .

- تداولية النص الشعري جمهرة أشعار العرب انموذجا ، شيتر رحيمة اطروحة دكتوراه ، الجزائر ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، كلية اللغات والعلوم الإنسانية ، قسم اللغة العربية وآدابها ، ٢٠٠٩ م .
- ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ و حققه وضبطه وشرحه أحمد عبد المجيد الغزاليّ ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان و ١٩٨٤ م .
- ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ الحكمي ، تحقيق غريغور شولر ، جمعية المستشرقين الألمانية ، دار المدى ، ط ١ ، ٢٠٠٣ م .
- ديوان أبي نواس ، شرحه وضبطه وقدم له الأستاذ عليّ فاعور ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧ م .
- ديوان أبي نواس ، شرح وتحقيق محمّد أنيس مُهرات ، دار مهرات للعلوم ، سورية – حمص ، ط ١ ، ٢٠٠٩ م .
- علم النص مدخل متداخل الاختصاصات ، تون أ.فان دايك ، ترجمة وتعليق د. سعيد حسن بحيري ، دار القاهرة ، ط ٢ ، ٢٠٠٥م .
- قراءآت في الأدب والنقد دراسة ، د. شجاع مسلم العاني ، منشورات اتحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، ١٩٩٩ م .
- من النص الى الفعل ، بول ريكور ، ترجمة محمّد برادة وحسّان بورقية ، ط١ ، ٢٠٠٠م .
- النص بناؤه ووظائفه مقدمة أولية لعلم النص : فان دايك ، ترجمة جورج أبي صالح ، مجلة العرب والفكر العالمي ، مركز الإنماء القومي ، ع ٥، شتاء ١٩٨٩م.
- النص والسّياق – استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداوليّ و فان دايك ، ترجمة عبد القادر قنيني ، افريقيا الشرق و المغرب ، ٢٠٠٠ م .
- ينظر النقد النصي وتحليل الخطاب ، د. نبيل ايوب مكتبة لبنان ناشرون ، ط ١ ، ٢٠٠١ م .